تابع للمحور الثاني: الإسهامات الأولى في علم الاجتماع السياسي:

المحاضرة الأولى:

4- نظريات الصفوة الكلاسيكية:

4-1- "باريتو" ونظرية دورة الصفوة:

يعتبر "فالفريدو باريتو" أول من استخدم مصطلح الصفوة في دراسة طبيعة الجماعات الحاكمة والأسس التي تستند إليها في الحكم وكيف تتغير هذه الجماعات وتتداول على الحكم. حيث يعرف الصفوة على أنها تلك الفئة القليلة أو الصغيرة داخل المجتمع لها مكانتها الاجتماعية العالية، والتي تؤثر على أو تحكم بعض أو كل شرائح المجتمع الأخرى، كما يعرفها معجم العلوم الاجتماعية على أنها تشير إلى علية الجماعة أو المجتمع، أقلية تسود أغلبية، والانتساب إلى الصفوة يكون بالوراثة. في حين يعرفها "بوتومور" على أنها جماعات وظيفية ومهنية، تتمتع بمكانة اجتماعية عالية في المجتمع.

لا يمكن فهم نظرية الصفوة عند باريتو دون فهم نظريته في المجتمع والذي ينظر اليه على أنه نسق في حالة توازن، وهو يتكون من مجموعة من العناصر المتوازنة والتي تتفاعل في منظومة واحدة وهنا ركز "باريتو" على دراسة العوامل الداخلية التي تشكل حسبه نسقا سلوكيا يمكن دراسته من خلال الأفعال التي يقوم بها الافراد.

أكد "باريتو" من خلال دراسته لهذه العوامل الداخلية أن المصالح والرغبات والرواسب والمشتقات والتي تدور حولها أفعال الأفراد، يمكن تصنيفها إلى أفعال منطقية وأخرى غير منطقية، حيث يمثل الصنف الأول كل الأفعال المثالية التي يكاد الواقع يخلو منها، حيث أن الأفعال الواقعية ما هي إلا أشكال وصور للأفعال غير المنطقية والتي لا تتحكم فيها النظريات العلمية وإنما تخضع لقوانين الطبيعة، حيث تتأثر هذه الأفعال برغبات الأفراد وميولاتهم ومصالحهم وأيديولوجياتهم،

وحتى يتضح هذا اعتمد "باريتو" مفهومي: الرواسب والمشتقات، فالرواسب هي كل ما يمثل العواطف والمشاعر وهي مجموعة من العناصر الثابتة والمستقرة، أو هي مجموع الدوافع التي توجه وتحدد الأفعال غير المنطقية. اما المشتقات فهي مجموع الأساليب التي يفسر بها الأفراد أفعالهم غير المنطقية كالأيديولوجيا مثلا.

لقد أولى "باريتو" أهمية خاصة للرواسب من خلال دراساته حول الصفوة، مبينا دورها في تحقيق التوازن في المجتمع، وقد قسمها إلى:

- رواسب التكامل أو الترابط.
- رواسب استمرار الجماعات.
- رواسب التكامل الفردي.
- رواسب النشاط.
- رواسب الجنس.

وتتمحور نظرية الصفوة عند "باريتو" حول رواسب التكامل ورواسب استمرار الجماعات، حيث ترتبط الأولى بالميل نحو تحقيق الغايات والقدرة على التجديد والإبداع، ويتميز من يمتلك هذا النوع من الرواسب بميله الطبيعي نحو تحقيق أهدافه من خلال أساليب تقوم على الذكاء والقدرة على التكامل مع الاخرين. أما رواسب استمرار الجماعات فترتبط بالميل نحو التصلب واعتماد أسلوب القوة إلى جانب الرغبة في الدخول في صراع مفتوح، ويتميز من يمتلك هذا النوع من الرواسب بميله الطبيعي نحو تحقيق ذاته باعتماد القوة والصراع.

يشير "باريتو" بأنه بوجود هاتين المجموعتين من الرواسب يمكن تحقيق توازن نسبيا إلى حد ما، بحيث يعمل الاختلاف والتنوع إلى تحقيق التكامل أولا ثم التوازن لاحقا، كما ان هذين النوعين من الرواسب قد تختص بها اقلية في المجتمع قد تمثل حسب "باريتو" من يملكون السلطة الاقتصادية والسياسية، وقد يشكل ذلك الاختلاف نوعا من التوازن بين من يملكون رواسب

التكامل ومن يملكون رواسب الاستمرار، فلا تستطيع أي فئة تحقيق الفوز (الوصول إلى السلطة) إلى ما لانهاية مما يعني تداولهما على السلطة من أجل تحقيق التوازن داخل المجتمع.

يجدر بنا الاشارة هنا إلى أن "باريتو" يقسم المجتمع إلى فئتين فئة دنيا أو كما يسميها اللاصفوة وهي الفئة المحكومة، وفئة عليا أو الصفوة والتي تتكون من اعضاء يشتغلون بالسياسة والاقتصاد. ويخضع نظام الحكم من خلال الصفوة إلى قوانين التوازن المجتمعي العام الذي يحققه التوازن بين رواسب التكامل ورواسب الاستمرار، أين يتم اعتماد الذكاء في الأولى ويسميها "باريتو" بجماعة الثعالب والقوة في الثانية وهي جماعة الأسود، ويتشكل الصراع السياسي في المجتمع من خلال الصراع بين هاتين الجماعتين، فكلما تفوقت مجموعة في استخدام رواسبها وصلت الى الحكم بينما تعمل المجموعة الاخرى على تقوية رواسبها للتفوق في المرة التالية وهو ما يشكل دورية في الوصول الى الحكم.

يتضح من خلال ما سبق أن "باريتو" اعتمد في تحليله للأسس التي تقوم عليها الصفوة على أساس سيكولوجي، حيث أشار للخصائص النفسية للجماعة الحاكمة.

المحاضرة الثانية:

4-2- مفهوم الطبقة الحاكمة عند "موسكا":

استخدم موسكا مفهوم الطبقة الحاكمة للإشارة إلى تلك الفئة من الأفراد في المجتمع التي تتحكم في زمام القوة داخله، وقد بين ذلك من خلال كتابه –الطبقة الحاكمة– حيث لا تمثل هذه الطبقة جماعة ذات مصالح رأسمالية كما ذهب إلى ذلك "ماركس" وإنما تشير إلى أقلية تحكم الأغلبية يقول "موسكا": "تظهر في كل المجتمعات طبقات من الأفراد...طبقة حاكمة وطبقة محكومة. وغالبا ما تكون الطبقة الأولى أقل عددا وهي الطبقة التي تتضطلع بكل الوظائف السياسية وتحتكر القوة وتتمتع بكل المميزات التي تصاحب القوة. أما الطبقة الثانية وهي الأكثر

عددا فإنها تخضع للتوجيه والضبط من خلال الطبقة الأولى التي تستعين في ذلك على أساليب قانونية في بعض الأحيان، وأساليب تعسفية وقائمة على العنف في أحيان أخرى..".

يشير موسكا من خلال هذا النص الى ان المجتمع ينقسم إلى جماهير محكومة وأقلية حاكمة اسماها بالطبقة الحاكمة، والتي تستمد وجودها من تملكها لبعض الخصائص ذات القيمة العالية: كملكية الثروة، والاهتمام بالصالح العام، والتحكم في السلطة العسكرية، والمركز الديني، والقدرة التنظيمية التي تتمتع بها الأقلية الحاكمة، وقد اكد موسكا" أهمية هذه الخاصية الأخيرة واعتبرها أكثر ما يمكن أن يميز الأقلية الحاكمة المنظمة عن الأغلبية المحكومة غير المنظمة، حيث أن الأقلية بحكم قلة عددها تستطيع ان تحقق ما لا تستطيع الاغلبية تحقيقه، وأنه كل ما كبر حجم المجتمع كلما ضعفت فرصة الأغلبية في المشاركة في السلطة والعكس صحيح. كما أن القدرة على التنظيم هي الخاصية التي من شانها ايصال الفئة القليلة التي تتمتع بها إلى الحكم وذلك باعتماد أساليب تنظيمية مختلفة كالدخول في الانتخابات في النظم الديموقراطية، واعتماد مصادرها الفكرية والاقتصادية والدينية في النظم الأخرى. أما عن استمرارها في الحكم فإن هذه الفئة بحاجة إلى تدعيم خاصيتها في القدرة التنظيمية من خلال السيطرة على القوى الاجتماعية الأخرى مثل الجيش والاقتصاد والسياسة...وفي كل الأحوال فإن الصفوة الأكثر قدرة على التنظيم حسب "موسكا" تسعى إلى ضمان تأييد جماهيري من خلال بث مجموعة من المبادئ الاخلاقية العامة التي سوف تشكل لاحقا صيغتها السياسية والتي تسعى من خلالها الى الحصول على القبول لدى الأغلبية، هذه المبادئ تستمد أساسا من عادات وتقاليد ومعتقدات الأغلبية حتى تضفي عليها الشرعية الجماهيرية. و يشير مفهوم الصيغة السياسية الى مجموع الاسس التي تستند اليها الدولة في تدعيم استقرارها و استمراريتها و هي بهذا اقرب الى مفهوم الايديولوجيا الذي استخدمه "ماركس" وإلى مفهوم العصبية عند بن خلدون.

4-3- "ميشيلز" وقانون الأوليجاركية:

اهتم "روبرت ميشيلز" بدراسة الأحزاب والتنظيمات النقابية في ضوء الديموقراطية في المجتمعات الأوروبية، وقد انطلق من فرضية أساسية مفادها ان الاقلية الحاكمة تسعى دائما الى الانفصال عن الجماهير وان الممارسات السياسية داخل التنظيمات الحزبية لا تؤدي الى مشاركة جماهيرية في الحكم وإنما إلى حكم الأقلية حيث يتم تركيز القوة في ايدي مجموعة قليلة من الأفراد الأوليجاركية. ويعتبر "ميشيلز" أن ذلك بمثابة قانون عام يحكم السلوك التنظيمي ولذلك فقد أطلق عليه تسمية القانون الحديدي للاوليجاركية والذي انطلق في بلورته من طبيعة الممارسات الديموقراطية في المجتمعات الاوروبية و التي تكشف عن ميول نحو تركيز الحكم في أيدي الأقلية ومن ثم يتحول الحكم من ديموقراطي إلى أوليجاركي.

وفي محاولة منه لإثبات افتراضاته ذهب إلى دراسة الحزب الديموقراطي الاشتراكي في المانيا في بداية القرن العشرين، ودراسة التنظيمات النقابية وبعض الأحزاب الأخرى في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

وقد خلص "ميشيلز" إلى مجموعة من العوامل من شأنها أن تدفع بالديموقراطية نحو الاوليجاركية وهي كالتالي:

- عوامل تتصل بالجماهير من حيث الخضوع السيكولوجي للقادة وتأثرهم بوسائل الدعاية والإعلان.
- عوامل تتصل بالقادة انفسهم من حيث ميلهم الدائم نحو الانفصال عن الجماهير، ونحو التمسك بالسلطة.
- عوامل تتصل بطبيعة التنظيمات السياسية، من حيث نموها، وتعقدها البيروقراطي.

4-4- أهم الانتقادات التي وجهت لنظرية الصفوة الكلاسيكية:

- لعل أهم الانتقادات التي وجهت لنظرية الصفوة الكلاسيكية إعطائها العوامل السيكولوجية حيزا كبيرا من تحليلاتها خاصة عند "باريتو" و"موسكا".
- إهمال بعض العوامل الموضوعية التي يمكن أن تخضع للقياس والضبط التجريبي، حيث لم تحدد نظرية الصفوة أية مقاييس يمكن من خلالها قياس القدرة التنظيمية، أو تحديد الرواسب والمشتقات وقياسها.
- ركزت نظرية الصفوة الكلاسيكية على دراسة جماعات الصفوة من حيث تكوينها وتداواها على الحكم، مهملة بذلك تحليل دينامية العملية السياسية على المستوى الجماهيري.

المحاضرة الثالثة:

المحور الثالث: الاتجاهات النظرية الحديثة في علم الاجتماع السياسي:

1- نظريات الصفوة الحديثة:

1-1- "رايت ميلز" و نظرية صفوة القوة:

كان ميلز متأثرا إلى حد كبير بالماركسية الا انه في محاولته لدراسة نمط بناء القوة في المجتمع الامريكي كشف عن حدوديتها وعن صلاحها لفترة زمنية معينة أي أنه لا يمكن تعميم تحليلاتها وافتراضاتها على حالات أخرى، حيث نجده ينتقد مفهوم الطبقة الحاكمة والتفسيرات المادية التي بني عليها هذا المفهوم، الذي لم يستوعب عملتي التحكم السياسي والعسكري. كما اعتقد أنه لا يجب رد مجالات التحكم والسيطرة المتعددة إلى التحكم الاقتصادي الذي تمارسه الطبقة البرجوازية.

ومن هذا المنطلق فقد نفى "ميلز" كون الطبقة البرجوازية هي التي تتحكم في أجهزة الدولة، ولهذا شكك في الفكرة الماركسية القائلة بانقسام المجتمع الى طبقتين فقط، كما شكك في قضية الاستغلال الاقتصادي الطبقي والسلطة الاقتصادية.

وإزاء هذا النقد ركز "ميلز" دراساته للتعرف على خصوصيات النظام الرأسمالي الأمريكي وأساليب التحكم السياسي التي صحبته، وذلك من خلال دراسة عن قادة العمال، أين أشار إلى تطور الطبقة العاملة الأمريكية ودرس الظروف التي جعلت قادة العمال في النقابات العمالية يتطلعون إلى مكان في الصفوة القومية. وفي عام 1951 أصدر كتابه الشهير عن "ذوي الياقات البيضاء" أين ركز دراساته عن الطبقات الوسطى للمجتمع الأمريكي وقد رصد من خلاله التغيير الذي طرأ عليها وعلى الظروف التي تعيشها وأهمها نمو الفردية وعدم الانتماء والاغتراب والعجز السياسي والاجتماعي، وخضوعها المباشر لسيطرة النظام الرأسمالي وأجهزته السياسية و الأيديولوجية.

أما عن الكتاب الذي عالج فيه طبيعة النظام السياسي والجماعة السياسية المسيطرة فقد عنونه بـ"صفوة القوة" والذي أصدره سنة 1956، وقد حاول من خلاله "ميلز" استخدام مفهوم جديد اعتبره أكثر قدرة على فهم التكوين السياسي الجديد في المجتمع الرأسمالي مفترضا بذلك أن العلاقات بين مجالات التحكم الاقتصادي والسيطرة السياسية هي علاقات تدعيم متبادل، ومن خلال ذلك يمكن القول بأن الجماعة التي تتولى السلطة والتي تتحكم في أجهزة الدولة وإصدار القرارات السياسية ليست جماعة اقتصادية بالضرورة ولكنها على علاقة بالطبقة المسيطرة اقتصاديا، وهو الأمر الذي بنى عليه "ميلز" للقول بأن مفهوم صفوة القوة أوسع وأشمل من مفهوم الطبقة الحاكمة في الطرح الماركسي.

يعرف "ميلز" إذن صفوة القوة من خلال تملك أفرادها للثروة والقوة والمكانة، وسيطرتهم داخل الهيئات النظامية الكبرى وهي الاقتصاد والجيش والسياسة، ومن ثمة فان صفوة القوة تضم ثلاث عناصر أساسية هي:

1- ذوي الثراء العريض الذين ظهروا في امريكا بعد الحرب العالمية الثانية، وهم قلة تسيطر على الاقتصاد سيطرة كاملة.
2- كبار رجال الجيش والذين دخلوا عالم السياسة من خلال الحرب الباردة وسباق التسلح، وأصبح لهم تأثير واضح على الدوائر الحكومية، وفي المجال الاقتصادي.
3- الساسة وكبار رجال الأحزاب السياسية، وهم جماعة صغيرة تضم رئيس الجمهورية ونائبه وأعضاء مجلس الوزراء ورؤساء الهيئات واللجان بما فيها هيئة البيت الابيض.

وجوهر مفهوم صفوة القوة عند "ميلز" هو تعدد مصادر القوة في المجتمع، غير أن تعدد هنا لا يعني توزيعها في المجتمع، وإنما حصرها أي القوة لدى أقلية تمثل صفوة واحدة قوية متعددة المصادر، ولا يعني تعددها اختلافها أو تفككها وإنما يوجد حسب "ميلز" دائما شبه اتفاق بين أعضائها على السياسات العامة والقيم، كما أنهم يتبادلون الأدوار في المراكز العليا في المجتمع.

المحاضرة الرابعة:

2-1- "دمهوف" ومحاولة التوفيق بين مفهومي الطبقة والصفوة:

في دراسة عنونت بـ "من يحكم أمريكا" حاول "دمهوف" أن يشير إلى أن التطورات التي أحدثت في النظام الرأسمالي الأمريكي لا تعني عدم وجود طبقة برجوازية أو طبقة حاكمة، كما لا تعني حصر التأثير السياسي على هذه الطبقة، ولهذا ركز "دمهوف" على التعرف على هذه الطبقة وتحديد معالمها وتمييز خصائصها:

- هي صغيرة الحجم.
- وتحظى بنصيب الأسد من ثروة المجتمع.
- يسعى أعضائها الانضمام إلى المؤسسات المؤثرة في المجتمع، والمؤسسات التي تتحكم في إصدار القوانين.

نظرا لما تتمتع به من خصائص آنفة الذكر، تلعب اذن الطبقة البرجوازية حسب "دمهوف" دورا أساسيا تتمكن من خلاله التأثير على النظام السياسي وعلى الإدارة التنفيذية للحكومة الفيدرالية، ولهذا يمكن القول بأن هذه الطبقة هي الطبقة الحاكمة هذا من ناحية، كما حاول "دمهوف" أن يربط بين صياغته لمفهوم الطبقة الحاكمة ومفهوم صفوة القوة على النحو التالي:

- صفوة القوة تتكون من الجماعة التي تصدر القرار بشكل مباشر، لذلك يمكن اعتبار كبار الموظفين في مؤسسات المجتمع المختلفة صفوة قوة ما دام أن لها علاقة مباشرة بصناعة القرارات.
- هذه الصفوة القوية تعمل نيابة عن الطبقة الحاكمة ذات الطابع الاقتصادي، أي أنها تعمل على خدمة مصالح الطبقة البرجوازية دون غيرها.
- أن هذه العلاقة بين الطبقة الحاكمة وبين صفوة القوة تتدعم من خلال:

أ– أن بعض أعضاء صفوة القوة ينتمون إلى الطبقة الحاكمة وبعضهم الآخر ينحدر منها أو على علاقة وثيقة بها.

ب– أن بعض كبار رجال الاعمال يسعون إلى العمل في الوظائف السياسية العليا، ومن ثم فانهم يصبحون جزءا لا يتجزأ من صفوة القوة.

حاول "دمهوف" إذن أن يوفق بين مفهوم الطبقة الحاكمة الذي جاء به الطرح الماركسي الذي يبدو متأثرا به وبين مفهوم صفوة القوة الذي جاء به "ميلز" ، فقد عزل طبقة رجال الأعمال وأسماها بالطبقة الحاكمة وقصر مفهوم صفوة القوة على قادة المؤسسات التي تعمل لتحقيق مصالح هذه الطبقة الحاكمة.

1-3- "رالف ميلباند" ومفهوم صفوة الدولة:

في عام 1965 نشر" ميلباند" مقالا بعنوان: "ماركس والدولة"، حاول فيه انتقاد التفسيرات الميكانيكية للماركسية ذاهبا إلى أن هناك وجهة نظر ماركسية مهملة حول الدولة تنحصر في القول بأن الدولة تعتبر شكلا مستقلا ومتفوقا على كل الطبقات الاجتماعية وهي بذلك تعتبر القوة المسيطرة وليست أداة في يد الطبقة المسيطرة اقتصاديان ولذلك فقد وجه "ميلباند" بحثه نحو فهم دور الدولة في المحافظة على التوازن بين الطبقات، فتوصل إلى ضرورة استخدام مفهوم الصفوة في وصف الجماعات السياسية التي تسيطر على أجهزة الدولة في المجتمع الرأسمالي، وتقوم بمهمة التوازن بين الطبقات.

كما أثبت "ميلباند" لاحقا أن المجتمعات الغربية تنقسم إلى طبقتين طبقة صغيرة الحجم تستحوذ على نصيب الأسد من ثروة المجتمع والدخل القومي وطبقة كبيرة الحجم خاضعة لها، وأطلق "ميلباند" على الأولى اسم الطبقة الاقتصادية المسيطرة، وفي محاولة منه لوصفها استخدم مفهوم الصفوة بمعنى اقتصادي محض، وهي تتكون من شرائح مختلفة وفقا لطبيعة النشاط

الاقتصادي الذي تنخرط فيه ، وتشكل كل شريحة صفوة اقتصادية. أما الجماعة التي تشرف بشكل مباشر على أجهزة الدولة فقد أطلق عليها "ميلباند" اسم صفوة الدولة وهي تتكون من الفئات صاحبة القوة في مؤسسات الدولة على النحو التالي: الحكومة، والادارة ، والجيش، والشرطة، والمؤسسات القضائية، والهيئات البرلمانية.

تحاول صفوة الدولة هذه أن تحقق لنفسها استقلالا في إصدار القرارات، خاصة في المجتمعات التي تنقسم فيها الطبقات الاقتصادية الى فئات مختلفة.

- **النقد الذي وجه لنظريات الصفوة المعاصرة:**

يتضح جليا من خلال ما سبق تاثر المفكرين المعاصرين بالطرح الماركسي و بفكرة الطبقة الحاكمة من جهة و من جهة اخرى تاثرهم الشديد بنظريات الصفوة الكلاسيكية، الا انها استطاعت تجاوزها في عدة جوانب اهمها:

1- الربط بين مفهومي الطبقة الحاكمة والصفوة.
2- فهم ديناميات القوة في ضوء الظروف المتغيرة للنظام الاجتماعي الرأسمالي.
3- توضيح مدى التعددية في الفئات المكونة للصفوة، فالصفوة بالرغم من ترابطها الداخلي الا انها تتكون من عدة فئات و الامر ذاته بالنسبة للطبقة.

وبالرغم من إسهامات نظريات الصفوة المعاصرة إلا أنها لم تسلم من النقد ويمكننا أن نلخص بعضها فيما يلي:

- اعتقادها أنها تجاوزت التحليل الماركسي، فالتحليلات التي قدمتها اكدت على أهمية دفاع صفوة القوة وأجهزة الدولة التي تحتها عن مصالح الفئات المسيطرة اقتصاديا، فالسيطرة في أساسها سيطرة اقتصادية، رغم الدور الذي يلعبه العسكريون ورجال السياسة في السلطة السياسية.

- لم تستطع نظرية الصفوة الحديثة أن تعمق تحليلاتها بحيث توضح كيف تمارس القوة على المستوى المحلي، فقد انصب التحليل اساسا على المستوى القومي.